العلَّامة المحدِّث المعمَّر الشيخ محمَّد مقدَّس عليّ السِّلْهتي

بقلم: **محفوظ أحمد السلهتي**

هو العالم الكبير، الوَرِع الزاهد، التقي النقي الخفي، تذكار السلف الصالح، ريحانة سِلْهت وفخرها، العلامة المحدِّث المعمَّر، الشيخ محمد مقدَّس علي السِّلْهتي، رحمه الله تعالى.

اسمه ونسبه ومولده:

هو محمد مقدس علي بن جمشيد علي بن محمد منصور. ولد في زكيغنج من مقاطعة سِلْهت[1]، في حدود سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م، فقد قارب التسعين من عُمُره، ونسأل الله تعالى أن يمد في عُمره بصحة وعافية.

---

[1] سِلْهت هي إحدى المدن الرئيسية الواقعة في شمال شرق بنغلاديش، وتُعدّ المركز الإداري لتقسيم سلهت ومحافظة سِلْهت. تتميز سِلْهت بكثافتها السكانية العالية. تشتهر المنطقة ببساتين الشاي والغابات الاستوائية، كما تعرف بازدهارها الاقتصادي، حيث تُعتبر واحدة من أغنى مدن بنغلاديش، وتضم استثمارات واسعة في مجالات الفنادق الفاخرة والمجمعات التجارية والعقارات، التي تعتمد بشكل كبير على الاستثمارات القادمة من المغتربين المقيمين في المملكة المتحدة وغيرها.

تتمتع سِلْهت بتاريخ طويل من الفتوحات وتراث ثقافي متنوع. وتُعرف بأنها العاصمة الروحية لبنغلاديش، حيث تحتضن ضريح الشيخ حضرة شاه جلال المجرد اليمني القونوي الأصل، الذي أدخل الإسلام إلى البنغال في القرن الثامن الهجري. وقد أشار الرحالة ابن بطوطة في كتابه «رحلة ابن بطوطة» إلى زيارته للمدينة ولقائه بالشيخ شاه جلال، واصفًا إياه بأوصاف مدهشة، ويمكن لمن أراد المزيد من التفاصيل الرجوع إلى هذا الكتاب.

خلال الفترة الاستعمارية البريطانية، كانت سِلْهت جزءًا من ولاية آسام. وبعد استقلال الهند وتقسيمها إلى الهند وباكستان، أصبحت سِلْهت جزءًا من شرق باكستان عقب استفتاء شعبي، وهي الآن جزء من بنغلاديش. لعبت المدينة دورًا بارزًا خلال حرب تحرير بنغلاديش في سبعينيات القرن العشرين.

وقد تميزت سِلْهت عبر القرون بإنتاج عدد من العلماء في علوم الشريعة، مثل الحديث والتفسير والفقه، وأسست العديد من المدارس الدينية والمراكز العلمية. وذكر الشيخ المحدِّث إمداد الحق السلهتي رحمه الله في كتابه «هداية الساري إلى دراسة البخاري» فوائد حول نشأة علم الحديث في البنغال، مع عرض لسير العلماء، خاصة علماء سِلْهت، لمن يرغب في التوسع بين الصفحتين 255 و 274 من الجزء الثاني. كما أن الشيخ المفتي حفظ الرحمن الكملائي حفظه الله ذكر تراجم بعض علماء سلهت في كتابيه الموسوعيين: «البدور المضية في تراجم الحنفية» و«اليواقيت والجواهر في تراجم علماء بنغال والأكابر».

نشأته العلمية:

تلقى شيخنا العلوم الابتدائية في مدرسة قريته، وتابع دراسته الثانوية في مدرسة تسمى (بهانغا مدرسة)، وهي تقع في حدود الهند حاليًا، ثم سافر إلى دار العلوم ديوبند –أزهر الهند–، وتَلْمَذَ على مشايخ كبار هناك.

مشايخه:

وكان من أمنياته أن يقرأ «صحيح البخاري» على شيخ الإسلام العلَّامة السيد حسين أحمد المدني رحمه الله تعالى، ولكن:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

فقد توفي الشيخ المدني قبل أن يرتقي الشيخ مقدس علي إلى ذلك الصف الدراسي الذي يُدرس فيه «صحيح البخاري»، ولكن شيخنا رحمه الله تعالى استفاد من الشيخ المدني في عدة مناسبات، حيث كان يحضر مجالس الشيخ المدني العلمية التي كانت تُعقد مساء كل يوم في بيته بقرية ديوبند.

وقرأ شيخنا الكتب الستة على جهابذة المحدثين في ذلك العصر من تلك الديار:

- فقرأ «صحيح البخاري» على العلامة المحدِّث الكبير الشيخ فخر الدين أحمد المرادآبادي – تلميذ العلامة محمود الحسن الديوبندي، وكذا تلميذ الإمام أنور شاه الكشميري – رحمه الله تعالى.
- وقرأ «صحيح مسلم» و«جامع الترمذي» على العلامة المحدث المتكلم الشيخ إبراهيم البلياوي – تلميذ العلامة محمود الحسن الديوبندي – رحمه الله تعالى.
- وقرأ «سنن أبي داود» على العلامة فخر الحسن المرادآبادي – وهو غير فخر الدين المتقدم ذكره – رحمه الله تعالى.
- وقرأ «سنن النسائي» و«شرح معاني الآثار» على الشيخ ظهور الحق رحمه الله تعالى.
- وقرأ «سنن ابن ماجه» و«شمائل الترمذي» على الشيخ السيد حسن رحمه الله تعالى.
- وقرأ «الموطأ» للإمام مالك و«الموطأ» للإمام محمد على العلامة القاري محمد طيب رحمه الله تعالى.

وأثناء دراسته في دار العلوم ديوبند، سافر إلى جامعة مظاهر علوم في سهارنفور، ولقي هناك بريحانة الهند، العلامة المحدث الكبير، الشيخ زكريا الكاندهلوي، صاحب «أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك»

وغيره من المؤلفات القيمة، رحمه الله تعالى. فقرأ عليه شيخنا الحديث المسلسل بالأولية، فأجازه العلامة زكريا بهذا وغيره من الأحاديث بأسانيده المعروفة.

تدريسه «صحيح البخاري» لأكثر من ستين سنة:

بعد أن أكمل شيخنا رحمه الله دراسته الإسلامية العليا وتخرج في دار العلوم ديوبند بدرجة ممتازة، عاد إلى وطنه حاملاً نصيبًا وافرًا من وراثة النبي صلى الله عليه وسلم، مُحملاً بالمسؤولية الكبرى لنشر العلوم الدينية بين قومه.

تم تعيينه مدرِّسًا في الجامعة الإسلامية فيض عام منشي بازار (معهد شرعي عريق أسسه الشيخ الزاهد محمد عبد الغفار المامرخاني – من أخص تلامذة العلامة حسين أحمد المدني – رحمه الله تعالى). ثم فُوض إليه تدريس الكتابين «صحيح البخاري» و«جامع الترمذي» في آنٍ واحد، بالإضافة إلى تدريس كتب أخرى في عدة صفوف دراسية.

وبعد أن كبر سن شيخنا – رحمه الله – وضعف جسده، ترك تدريس بعض الكتب الأخرى، لكنه لم يترك تدريس «صحيح البخاري» إلى آخر أيام حياته. فقد قام بتدريس هذا الكتاب العظيم لأكثر من ستين عامًا، والحمد لله. وهذا يُعد من النوادر في هذا الزمان، ولا ندري أحدا من مشايخ الحديث في ديارنا يشاركه في هذه المزية.

ومن خلال هذه التجربة الطويلة والممارسة العميقة مع «صحيح البخاري» بشكل خاص، ومع كتب الحديث الشريف بشكل عام، نرى شيخنا – رحمه الله – يروي الأحاديث الشريفة ويذكرها في مجالس وعظه وإرشاده ومحاضراته بكثرة، وبشكل متقن، مُصرحًا بألفاظ كتب الحديث، كأنه قد حفظ واستحضر معظم هذه الكتب في ذهنه. فتراه يذكر أحيانًا: «هذا أول حديث من مسند الإمام أحمد»، وأحيانًا أخرى يقول: «هذا آخر حديث من ذلك الكتاب الفلاني»، وهكذا.

وتتميز دروس شيخنا – رحمه الله – بعدة مزايا، منها سعة الاطلاع، وكثرة المعلومات، والإحالة إلى الشروح العلمية المعروفة والنادرة، وغيرها من الخصائص التي استقاها شيخنا من مشايخه في ديوبند.

تلامذته:

فاشتهرت جودة تدريسه، وروعة أسلوب تقريره، وأناقة طريق شرحه، فقصده عشاق العلم – لا سيما علم الحديث – من أنحاء سلهت ومن خارجها. فتلمذ عليه المئات بل الآلاف من الطلبة، ويُعد تلامذته من أكابر علماء هذه المنطقة ومشايخها.

ومن أبرز تلامذته: العلامة المحدث الشيخ عبد المصور الأيوري، والعلامة المحدث المفتي الشيخ أولياء حسين السلهتي، والعلامة الشيخ شفيق الرحمن الكشورغنجي حفظهم الله تعالى. وكلهم من شيوخ الحديث المعروفين في ديارنا.

ورعه وتقواه:

عُرف شيخنا – رحمه الله تعالى – بلقب «مَلَك الأرض»؛ لما كان يتحلى به من اللين والرفق والتواضع والإيثار، وما إلى ذلك من الأخلاق السامية والآداب الرفيعة. فمن النادر جدًّا – إن لم يكن مستحيلًا – أن يدعي أحد أنه قد آذاه الشيخ في حياته قولًا أو فعلًا. كان دائمًا يؤثر غيره حتى وإن كان له الحق، وكان يكره المراء والجدال تمامًا، ويحب الصمت والهدوء، ولا يسعى وراء الظهور والشهرة. وكان قد بايع على العلامة الكبير الشيخ عبد الكريم المعروف بـ شيخ كوريا رحمه الله تعالى في التصوف والتزكية، فحصلت له الخلافة أيضا من شيخه رحمهما الله.

مناصبه العلمية والدينية:

كما ذكرت من قبل أن الشيخ رحمه الله عُيّن أولا أستاذا، ثم ولي منصب «شيخ الحديث» في الجامعة الإسلامية فيض عام منشي بازار ، زكيغنج، واستمر على هذا المنصب هناك سوى فترة قليلة إلى وفاته، وقد عين رئيس هذا المعهد الشرعي بعد وفاة مؤسسه العلامة عبد الغفار المامرخاني رحمه الله.

– فقد ولي منصب «شيخ الحديث أيضًا لمدة سنتين في الجامعة المحمدية، هاري كاندي، ذكيغنج، سِلْهت.

– وقد ولي منصب «شيخ الحديث» أيضا لمدة سنوات في الجامعة المدنية أنغورا محمد فور، بياني بازار، سِلْهت.

– كما عُيّن شيخنا رحمه الله تعالى رئيسا لـ «جمعية علماء الإسلام، بنغلاديش» لمحافظة ذكيغنج، وله دور بارز في نشر الثقافة الإسلامية والتوعية الدينية من خلال هذه المؤسسة وغيرها.

مؤلفاته:

كان اهتمام شيخنا – رحمه الله – منصبًّا على تربية الرجال وصناعة الأجيال الناشئة، وإرشاد الخلق إلى الله تعالى بأقواله وأفعاله. لذا، لم يكن لديه كثير وقت للاشتغال بالتأليف والتصنيف.

ومع ذلك، كانت له بعض الأمالي الدراسية التي جمعها من دروس شيوخه في دار العلوم ديوبند.

منها:

- أمالي دروس شيخه العلامة المحدِّث الشيخ محمد أنظر شاه بن إمام العصر العلامة المحدِّث محمد أنور شاه الكشميري – رحمهما الله – على «مقامات الحريري».
- أمالي دروس شيخه العلامة الكبير المحدِّث الشيخ إبراهيم البلياوي – رحمه الله – «على صحيح مسلم».

وقد كتب شيخنا – رحمه الله – هذه الأمالي بخطه أثناء الدروس باللغة العربية. ولكن، مع الأسف الشديد، فُقدت هذه الأمالي بعد عودته إلى وطنه، إذ أعاره بعض أصحابه إياها ولم يردّها إليه، والله المستعان.

ذكرياتي مع الشيخ رحمه الله:

ومن الطرائف أن والدي، المحدث المفتي الشيخ أولياء حسين، حفظه الله تعالى، يُعدّ من أخص تلامذة شيخنا العلامة مقدَّس علي، رحمه الله. ولكن في الوقت ذاته، شيخنا هو صهر والدي بحكم القرابة؛ إذ تزوج شيخنا بابنة أخت والدي. والمفارقة أن زوجة شيخنا أكبر سنًّا من والدي، وقد تزوجها شيخنا خلال فترة دراسة والدي، وبهذا أصبح شيخنا صهرًا لتلميذه والدي!

ومن هذه الناحية، فإن شيخنا زوج بنت عمتنا، مما يجعله يمازحنا أحيانًا مستندًا إلى هذه القرابة العائلية. وقد توفيت زوجته رحمها الله تعالى قبل سبع سنوات، ولم يتزوج بعدها.

أما عن الإجازة في علم الحديث الشريف، فقد استجزته فأجازني في مجلسين. كانت الإجازة الأولى في شهر رجب عام 1441هـ، الموافق لشهر فبراير عام 2020م، عندما التقيت به في منزله. منحني إجازة عامة لكتب الحديث بأسانيد مشايخه المعروفة.

وفي شهر ذي القعدة من العام نفسه، الموافق لشهر يونيو، نظمنا — نحن مجموعة من طلبة العلم من بلدان مختلفة — مجلسًا لسماع الحديث الشريف على شيخنا عبر منصة «زوم». قرأ علينا الحديث الأول من «صحيح البخاري»، ثم قرأتُ عليه الحديث المسلسل بالأولية، بالإضافة إلى الحديث الأول والأخير من «صحيح البخاري». بعدها أجازنا شيخنا، وأملى هذه الإجازة على ابنه، وأورد فيها ما يلي:

«استجازني بعض إخوتي في الدين وأخوات من النساء أن أبين لهم سند مشايخي في الحديث، فأجيبهم مع ضعف بدني؛ رجاء الانسلاك في الصالحين، فأقول: إن شيخي في «الصحيح» للبخاري السيد فخر الدين أحمد المراد آبادي، وفي «السُّنن» للترمذي و«الصحيح» لمسلم العلامة إبراهيم البلياوي، ولما فرغت من

القراءة أجازوني، فأجزتكم كما أجازوني أن تروووا الأحاديث عني كما أجازوني، بشرط صحة الإتقان والاتباع بالسُّنَّة السَّنِيَّة والتأدب بآداب الصالحين، والاستقامة على الصراط المستقيم.

وأدعو لكم أن يديم حياتكم في خدمة الدين، وأستدعي منكم الدعاء لي بخاتمة الخير على الإيمان واليقين، ويحشرني مع زمرة الصالحين يوم الدين.

المجيز طالب الدعاء

محمد مقدس علي

٢-١١ - ١٤٤١ هـ»

فقد كانت علاقتي بشيخنا العلامة علاقة لا تقتصر على التعلم الرسمي فحسب، بل كانت علاقة مفعمة بالتوجيه الروحي والعلمي. كنت أراه أكثر من معلم؛ فقد كان قدوة في الصبر والاحترام والتمسك بالقيم الإسلامية. لم يكن الشيخ يكتفي بتقديم العلم والمعرفة فقط، بل كان يحرص على غرس الأخلاق الحميدة في قلوبنا، ويشجعنا على الاستقامة والتواضع.

كثيرًا ما كان يُرشدني بتوجيهاته الحكيمة في مختلف جوانب الحياة، ويساعدني في فهم أعمق للعلوم الشرعية. كان له دور كبير في تشكيل شخصيتي العلمية والروحية، وقد استفدت كثيرًا من مجالسنا معه التي كانت مليئة بالحكمة والنصح.

كانت كلماته تُحدث أثرًا عميقًا في نفسي، ولم أكن أكتفي فقط بالدروس التي كان يلقيها، بل كنت أحرص على أن أتعلم من سلوكه اليومي، فقد كان نموذجًا للعلماء الذين يجمعون بين العلم والعمل.

كل لحظة قضيتها في مجالس الشيخ كانت فرصة ذهبية لتطوير نفسي في مجال العلم والدين، ولا زلت أعتز بتلك الذكريات الثمينة التي لا تقدر بثمن.

من نصائحه وأقواله:

قبل بداية دروس «مشكاة المصابيح»، ذهبت إلى شيخنا – رحمه الله تعالى – وطلبت منه النصيحة.

- فقال لي: «ينبغي لك أن تراعي الآداب عند قراءة الأحاديث النبوية، كأنك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فتأدب عند قراءة أحاديثه كما لو كنت بين يديه. كما ينبغي لك أن تكون على وضوء في مجالس قراءة الأحاديث الشريفة».

- وقال لي أيضًا: «اجعل نصب عينيك العمل بالسنة المشرفة وتطبيقها في الحياة اليومية، حتى تحفظها علمًا وعملًا، وبذلك تستنير حياتك بنور الإيمان واتباع سُنَن سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة والتسليم».
- ومن أقواله – رحمه الله تعالى –: «لا يجترئ على الوعظ (ويقصد المحاضرات الوعظية المعروفة في ديارنا) إلا عالم متقن أو جاهل مركب».

وفاته:

فضيلة الشيخ مقدس علي، استجاب يوم الأربعاء 8 يناير 2025م، الساعة 8 صباحًا لنداء ربه في منزله وهو على فراش المرض، وتوفي بعد أن ترك خلفه الآلاف من طلابه، ومريديه، وأتباعه، ومحبيه. وقد صلى عليه بعد عصر ذلك اليوم آلافٌ من المسلمين. نسأل الله عز وجل أن يغفر له ويرحمه ويسكنه جنة الفردوس ويرزق أهله الصبر والسلوان.

خط شيخنا رحمه الله

(١)

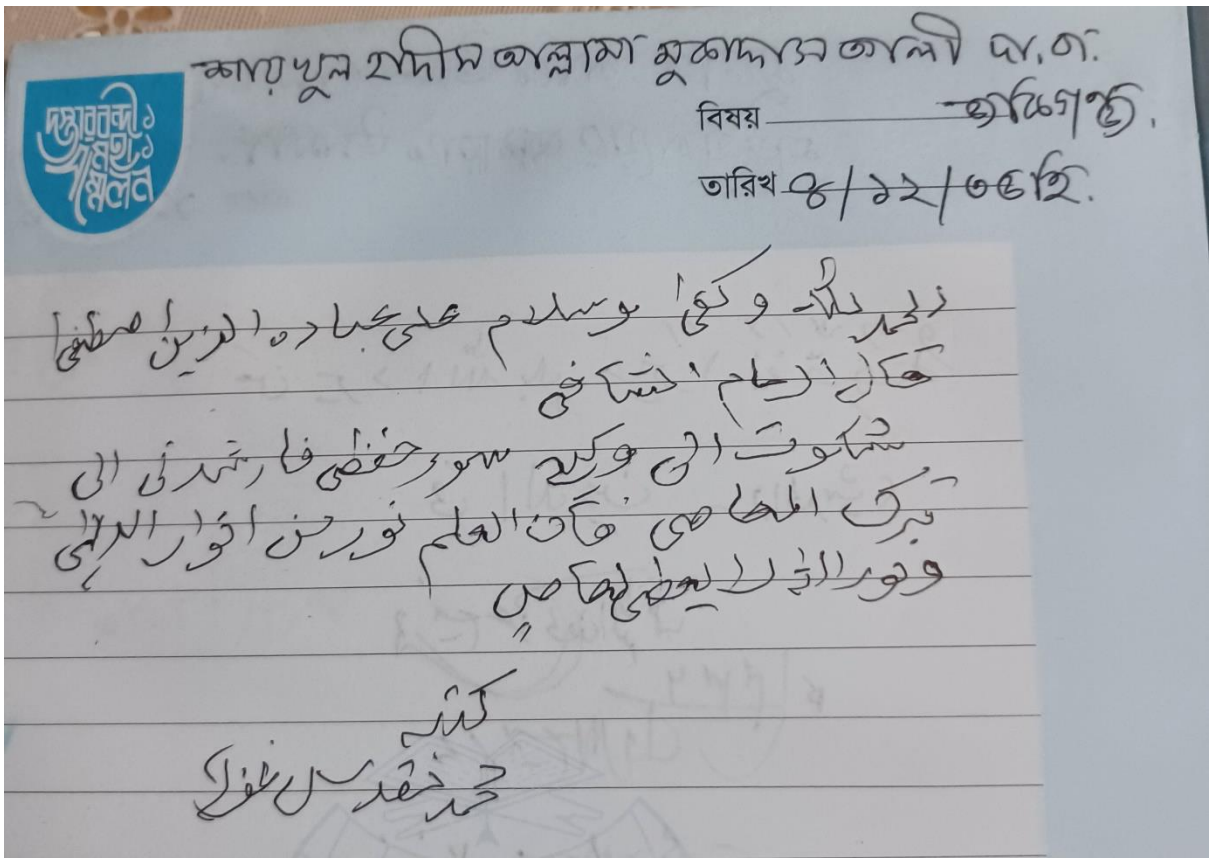

كتب شيخنا رحمه الله تعالى بخطه في مذكرتي الخاصة، حينما زرته في بيته في اليوم الرابع من ذي الحجة، سنة ١٤٣٥ هـ.

(٢)

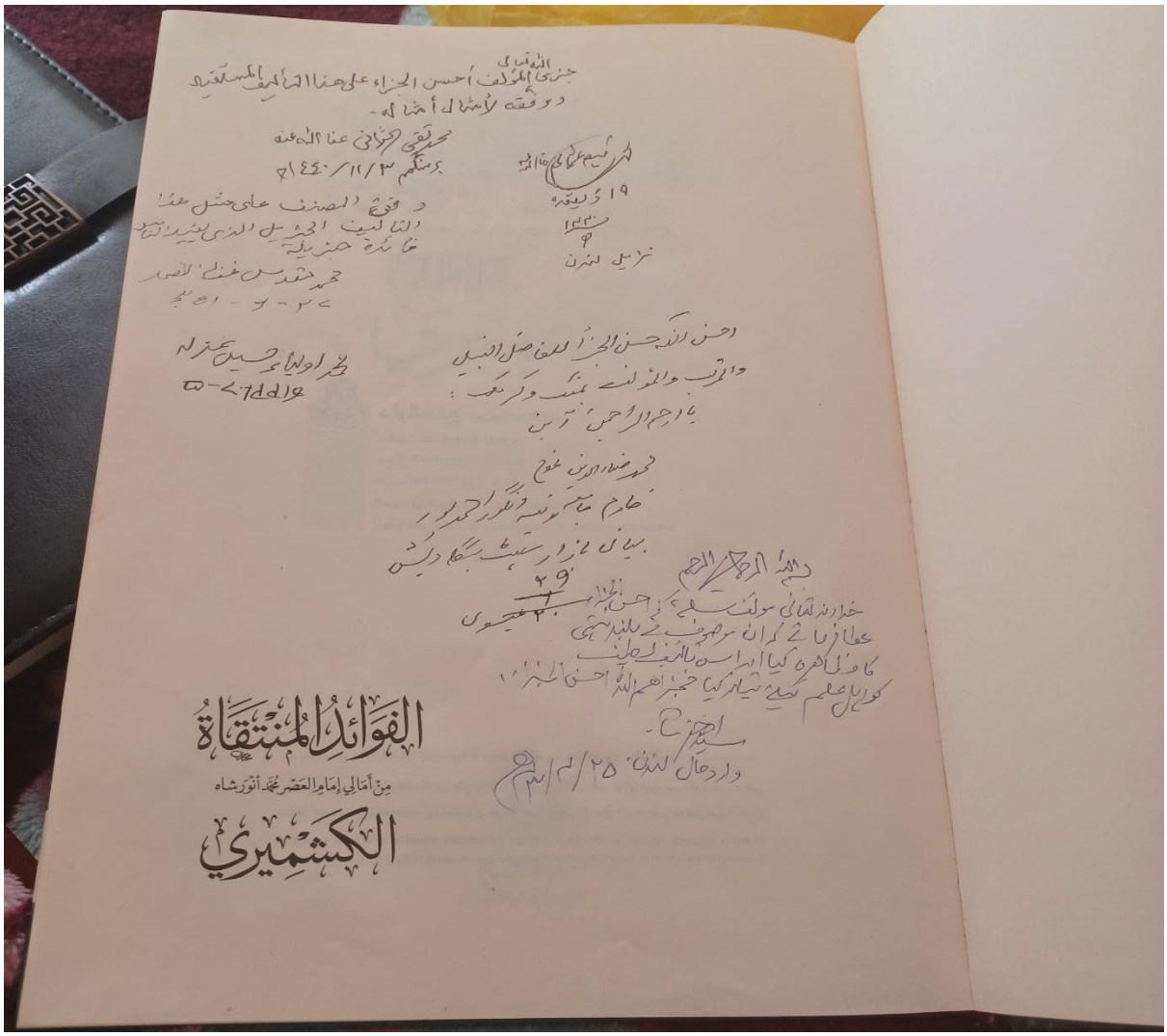

تظهر في هذه الصورة توقيعات بعض كبار العلماء على طُرة كتابي «الفوائد المنتقاة من أمالي إمام العصر محمد أنور شاه الكشميري». وهم: العلامة المحدث الفقيه القاضي محمد تقي العثماني حفظه الله، وشقيقه الأكبر العلامة المفتي محمد رفيع العثماني رحمه الله، وشيخنا العلامة المحدث محمد مقدَّس عليّ رحمه الله، وأستاذي العلامة المربي الشيخ ضياء الدين، ووالدي العلامة المحدث المفتي أولياء حسين، وشيخنا العلامة السيد أحمد خضر شاه –حفيد الإمام الكشميري–، حفظهم الله تعالى.